

تحديات بناء نموذج الدولة الحديثة في العراق بعد 2011 عبر ثلاثية: الربيع، الهوية والمساواة
The Challenges of Building the Model of the Modern State in Iraq after 2011 through a Tripartite: Rent - Identity and Equality

زرزوقة إسماعيل

كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة المسيلة، ismail.zerrouga@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2021/06/20

تاريخ القبول: 2021/05/29

تاريخ الاستلام: 2021/04/27

ملخص:

ان المتتبع لمسار بناء الدولة الحديثة في العراق بعد الانسحاب الأمريكي سنة 2011، يلاحظ انه لا يزال عاجزا عن الخروج من دائرة الاقتصاد الريعي، الذي يهدف الى محاولة الوصول بسرعة الى دولة الرفاه، وبالتالي الانتقال الى المجتمع المبني على قيم المواطنة والحقوق والحريات، فالاقتصاد العراقي الريعي أعاق عملية التطور الطبيعي للمجتمع، وعرقل قيام مجتمع يعيد انتاج نفسه كمجتمع تعاقدى من الافراد القادرين على فرض منطقتهم في التعاقد بشكل مستقل عن الدولة، وبالتالي أدى شعور الأقليات بعدم المساواة المجتمعية في سياق الاستفادة من السياسات التنموية، فتراجع ولائها للدولة العراقية، وهو ما تحاول هذه الورقة مناقشته للوصول الى بناء دولة المواطنة الحديثة القائمة على الهوية الجامعة.

كلمات مفتاحية: العراق، الهوية، الربيع، المساواة، بناء الدولة.

Abstract:

The follower of the modern state-building process in Iraq after the US withdrawal in 2011, notes that it is still unable to get out of the circle of rentier economy, which aims to try to quickly reach the welfare state, and thus move to a society based on the values of citizenship, rights and freedoms, The Iraqi rentier economy hindered the normal development of society, and hindered the establishment of a society that reproduces itself as a strong contractual society of individuals able to impose their logic of contracting independently of the state, Hence their loyalty has declined The Iraqi state, in return for growing loyalty to outside parties, believes that it supports it in strengthening its identity, Which is what this study is trying to discuss

Keywords: irak; identity; rent; equality; state building.

1. مقدمة :

لعب العراق دورا محوريا في منطقة الشرق الأوسط اذ يعتبر في ادبيات علم السياسة بالدولة المحورية والمفتاحية key and pivotal state الى غاية غزوه سنة 2003 من طرف الولايات المتحدة الامريكية، ليتحول نمودجا للدولة الهشة والمختزقة، والتي تعاني من المسألة الطائفية وتأثيراتها السلبية كعقبة كؤود في طريق تحقيق التنمية، وما افرزته من عدم المساواة في الفرص والحقوق والواجبات المبنية على أسس المواطنة الحققة، رغم الإمكانيات الريعية التي تمتلكها هذه الدولة، والتي قد تمثل مرحلة التمهد والتهيؤ للانطلاق كما يعتقد المفكر روستو Rostow Walt Whitman في شرح مراحل النمو ، لبناء نمودج الدولة الحديثة والمتطورة ، والتي تهدف الى الوصول الى مجتمع الرفاه، وهو ما تحاول هذه الورقة معالجة هذا الموضوع عبر طرح الإشكالية التالية: الى أي مدى يمكن العراق ان يتجاوز التحديات الراهنة للوصول الى بناء الدولة المتطورة في ظل وضع دولي وإقليمي معقد؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بصياغة الفرضية الرئيسية التالية: كلما ابتعد العراق عن الربيع كألية لشراء السلم الاجتماعي كلما اقترب من بناء دولة المواطنة الحديثة المبنية على الحرية والمساواة. ولتحليل الموضوع قمنا باتباع منهج دراسة الحالة، لما يمكننا من دراسة الحالة العراقية ككل متكامل انطلاقا من تتبع أسباب الازمة الى البحث عن الحلول والوصول الى النتائج، إضافة الى المنهج الوصفي لتحليل الظاهرة قيد الدراسة من خلال التفكيك وإعادة البناء.

2. محددات الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003

ان المتتبع للأحداث المتسارعة التي تلت احداث الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001، والتحول الجوهري في الاستراتيجية الامريكية العالمية نحو الهيمنة، والتي جسدها غزو أفغانستان من جهة، والرغبة الامريكية الجارحة للسيطرة على العراق بعد ذلك من جهة اخرى، حيث سوق للمجتمع الدولي ظاهريا في تلك المرحلة ان الاهداف الرئيسية من هذا الاجتياح هي:

1.2 محاولة نشر والترويج للديموقراطية ومحاربة الدكتاتورية المتمثلة في نظام الرئيس السابق صدام حسين:

ففي أعقاب هجمات سبتمبر 2001 أكد جورج بوش (George W. Bush) الابن في خطاب حالة الاتحاد: «لقد دعا التاريخ أمريكا وحلفاءها للتحرك، إنها مسؤوليتنا وامتياننا أن نخوض معركة الحرية»، وفي خطاب حالة الاتحاد بعد عامين قال بوش إنه يتعين على الولايات المتحدة أن: «تنتهي عملها التاريخي لإحلال الديمقراطية في أفغانستان والعراق»، ففي نهاية الأمر «أمريكا هي دولة ذات رسالة، وهذه

الرسالة تنبع من أكثر اعتقاداتنا أهمية، ليست لدينا أية رغبة في الهيمنة، ولا أي أطماع امبراطورية، إن هدفنا هو السلام الديمقراطي، السلام القائم على الكرامة والحقوق لكل رجل وامرأة ... علاوة على ذلك نحن نفهم دعوتنا المميزة: هذه الجمهورية العظيمة ستقود قضية الحرية»¹.

ويتجسد تقليد التفرد الليبرالي الأمريكي على الصعيد الدولي في نمط من السياسة الخارجية، قائم على الاعتقاد بأن هذه السياسة يجب أن تعكس، بشكل جوهري، القيم الأمريكية المتميزة عن الآخرين. وانطلاقاً من هذا الطابع المتفرد، ظلت الولايات المتحدة ترى نفسها صاحبة مصلحة والتزام أخلاقي لتعزيز انتشار الديمقراطية والمؤسسات الليبرالية في الخارج²

2.2 القضاء على أسلحة الدمار الشامل التي سوق على ان العراق يمتلكها:

لقد أرادت الإدارة الأمريكية تحقيق هدفا استراتيجيا وضعت منذ زمن، تكون بدايته بوضع العراق تحت نفوذها، وبمجيء الرئيس جورج وولكر بوش إلى السلطة وما يحمله من أفكار للمحافظين الجدد كان لا بد لها من إيجاد مبرر لإعلان الحرب، فوجدت في ذريعة أسلحة الدمار الشامل العراقية حجة لإعلان الحرب، وغذتها بحملة إعلامية مركزة مفادها أن العراق بحوزته أسلحة كيميائية وبيولوجية سيستعملها ضد الشعب الأمريكي وحلفاءهم ولقد تمكنت حكومتنا الولايات المتحدة وبريطانيا من خداع مجلسهما النيابية من خطر العراق فحصلنا على التفويض بشن الحرب³.

وخلال الإستعدادات الأمريكية للحرب ضد العراق عام 2003، اعيد تشكيل خريطة التواجد العسكري في الشرق الأوسط، حيث برزت أهمية كل من قطر والبحرين، كما أن احتلالها للعراق سوف يسمح لها ببناء قواعد عسكرية ونشر قوات أخرى قد تدوم مدتها طويلا، وذلك نظرا لما يتمتع به من امتداد جغرافي واسع وموارد الطاقة النفطية الكبيرة هذا الترتيب تطمح الإدارة الأمريكية لجعل من العراق قاعدة عسكرية متقدمة في المنطقة، ولقد لخصت هذه الأبعاد الإستراتيجية للولايات المتحدة كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومي حينها وكاتبة الدولة للشؤون الخارجية فيما بعد في قولها " ان السياسة الخارجية الأمريكية في ظل إدارة جمهورية، يجب أن تعيد التركيز على المصلحة القومية و ملاحقة الأولويات الأساسية وهذه المهمات هي :

- ضمان أن "القوى" الأمريكية في ظل إدارة جمهورية يجب أن تمنع الحروب وتبرز السلطة و تقاوم في سبيل حماية مصالحها، ان لم تنجح في منع الحرب.

- تعزيز النمو الاقتصادي والانفتاح السياسي، عبر نشر التجارة الخارجية الحرة ونظام مالي عالي مستقر في أوساط جميع الملتزمين بهذه المبادئ، بما فيها العالم العربي الذي تم تجاهله كمنطقة حيوية للمصالح الأمريكية القومية⁴.

3.2 الحفاظ على امن إسرائيل:

في ليلة عيد العنصرة [عيد الأسابيع] عام 1981 قامت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي بقصف المفاعل النووي العراقي "اوزيرك"، فأثارت هذه العملية موجة شعور من الفرح والارتياح، بجانب استنكارات داخلية وعالمية، أدت إلى انقسام الإسرائيليين بين مؤيد لهذه العملية ومعارض لها وهذا ما نجد عنده "بيغن" كقناعة راسخة بأن قصف المفاعل النووي العراقي حال دون إمكانية وقوع محرقة نازية إضافية⁵، عكس الطرف الآخر الذي اعتقد أن العملية لم تكن لازمة بل إن إسرائيل ورطت نفسها في حالة حساسة كانت في غنى عنها.

لكن الحملات الدعائية الإسرائيلية في وسائل الإعلام الأوربية استطاعت خلق مناخ دعائي للتمهيد للهجوم الجوي على المفاعل النووي، بحجة أن بغداد هي عاصمة العالم العربي النووية⁶، فكان عبور الطائرات الحربية الإسرائيلية فوق الأجواء الأردنية والسعودية دون أن ترصدها الرادارات، والقيام بضربة استباقية بامتياز، ساهم فيها مضي ما يزيد عن سنة من اندلاع الحرب بين العراق وإيران، أي انشغال العراق بالجبهة الإيرانية.

إن الهدف من هذه العملية القضاء على هدف استراتيجي حيوي يمنع العدو من امتلاك هذه التكنولوجيا والتي تمثل تهديدا للاحتكار النووي الإسرائيلي، زد على ذلك إثبات أن لإسرائيل القدرة على ضرب أي موقع تختاره في مجالها الجيو استراتيجي وأنها القوة العسكرية الفعالة في المنطقة من أجل إقناع العرب أنها في مرمى حجر منها، وهذا ما ذهب إليه تيسير الناشف بقوله: "إن إسرائيل بجزائها لهذه النوعية والكمية من الأسلحة لا بد أنها تقصد أن تحقق أيضا أهدافا إستراتيجية بعيدة المدى والأثر، تتعلق بالشرق الأوسط وتتجاوز هذه المنطقة".

ولكن رغم هذه العملية النوعية التي قامت بها إسرائيل فإنها لم تسلم من الرد العراقي الذي كان عن طريق قصفه لإسرائيل بصواريخ أرض- أرض من نوع "skud-B" العراقية برؤوس تقليدية، رغم البعد الجغرافي عن إسرائيل، أدى إلى حدوث زعر معنوي في إسرائيل واهتزاز الأمن القومي خاصة في جانبه المتعلق بالحدود الآمنة، الصواريخ أرض-أرض طراز "skud-B" تتخطى الحدود ولا تعترف بها، وهو ما

أدى إلى انكشاف العمق الاستراتيجي لأول مرة بعدما كان يعتقد الإسرائيليون أنهم اكتسبوا حدود آمنة يمكن الدفاع عنها.⁷

فأثار هذا القصف الصاروخي جدلاً كبيراً في إسرائيل، بين أنصار الحدود الآمنة وبين الراضين لها خاصة أن الصواريخ تتوفر بكثرة لعدد من الدول العربية، وهي قادرة على حمل رؤوس نووية، وهو ما دعا إليه القادة في إسرائيل لوضع تصورات جديدة للعقيدة العسكرية الإسرائيلية منها:

رؤية "shimon peres" حيث قال: "إن السبيل الوحيد لضمان مستوى معقول من الأمن القومي في هذا العصر، عصر الصواريخ أرض-أرض والقدرات النووية، هو إقامة نظام إقليمي للرقابة والرصد، فإذا نفذ ذلك سنجد أن مفهوم "العمق الاستراتيجي" لم يعد له معنى، فالصواريخ بعيدة المدى وأسلحة الدمار الشامل، قد حولت جبهة الداخل إلى جبهة أمامية، إن الرقابة الواسعة (أقمار صناعية، أعمال مراقبة) هي البديل عن مفهوم "العمق الاستراتيجي" إن الأمن أي منع الحرب وإقامة حدود ثنائية آمنة، ستكون القضية المهيمنة في الطور الأول الانتقالي".

رؤية "نتنياهو" فلقد ألح على اعتماد "مبدأ الردع" ضد أية قوة معادية سواء من دول الطوق أو حتى من الدول البعيدة جغرافياً عن إسرائيل بقوله: "أن ما يمكن تحقيقه في الشرق الأوسط هو السلام المبني على الردع والقوة، لذا ففي الشرق الأوسط، يعتبر الأمن هو العنصر الحيوي للسلام ولا بديل عنه، هذه الترتيبات الأمنية بغض النظر عن مدى نجاحها لن تكون كافية يوم أن يقرر أعداء إسرائيل خرق المبادئ المتفق عليها والشروع في حرب ضدها⁸

وكانت نتيجة حرب الخليج الثانية، أنه لا يمكن لدولة نووية كإسرائيل أن تلقي قبلة ذرية رداً على إطلاق صواريخ تقليدي، وقد أدت الضربة الصاروخية العراقية لإسرائيل دون الرد عليها، إلى إضعاف صورتها كقوة رادعة، وكانت قوة الردع الإسرائيلية تعتمد على سلاح الجو، ويعتقد الإسرائيليون الآن أنه لا يجوز الاعتماد عليه فقط، وأن عليهم أن يجدوا وسائل ردع تقليدية أخرى.

وعلى هذا الأساس يقترح الجنرال "تال": "بناء ذراع إستراتيجية جديدة في إسرائيل تعتمد على الصواريخ أرض-أرض وليس فقط على الطائرات كثقل موازي لتزود العرب بمختلف أنواع صواريخ "skud" والقادرة على حمل رؤوس نووية". وكان من ضمن الخيارات الإسرائيلية إنشاء نظام دفاعي صاروخي ميداني لحماية

إسرائيل من أي هجوم بالصواريخ سواء كانت التقليدية أو النووية، وبالتالي فينبغي عليها أن تمتلك عمقا استراتيجيا بحريا جديدا، يعرف أعداء إسرائيل بقدرتها على الرد في حال مهاجمتها⁹.

ولكن رغم كل ما سبق فإن القضاء النهائي على البرنامج النووي العراقي لم يكن عن طريق القوات الإسرائيلية كما حصل في 1981، بل كان على يد القوات الأمريكية في جانفي 1991 ليتوقف البرنامج النووي العراقي عند هذا الحد¹⁰.

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التسويق الإعلامي و الدولي للأسباب الانفة الذكر ، الا ان التحليل العميق لهذه الدوافع يمكن ان يستنتج ان الأهداف الحقيقية من وراء هذا الاجتياح هي ذات ابعاد اقتصادية بامتياز .

4.2 التكلفة المنخفضة للبتروال العراقي:

تشير اغلب الدراسات الاقتصادية الى التكلفة المنخفضة للبتروال العراقي التي لا تتجاوز في العديد من المناطق 3 دولار لإنتاج برميل واحد من النفط ، حيث أن حجة الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على العراق، وهي امتلاك هذا الأخير لأسلحة الدمار الشامل. فندتها بعثة التفيتيش التي أرسلتها الأمم المتحدة بقيادة كبير المفتشين آنذاك " هانس بليكس"، صرحت في تقرير أرسلته إلى الأمم المتحدة، إن العراق لا يملك أسلحة الدمار الشامل، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تأخذ الضوء الأخضر من مجلس الأمن، وخرقت الشرعية الدولية في سبيل تحقيق البراغماتية باستعمال القوة العسكرية.

وتجدر الإشارة إلى أن التحضيرات الأمريكية البريطانية لشن هذه الحرب، أثرت على أسعار النفط التي ارتفعت إلى 35 دولار للبرميل، مباشرة قبل التدخل الأمريكي في العراق في 20 مارس، كما انه بعد سقوط نظام صدام حسين انخفضت فجأة أسعار النفط إلى 25 دولار للبرميل¹¹.

5.2 رغبة الرئيس العراقي السابق صدام حسين في تصدير البتروال باليورو بدل الدولار:

هذه الفكرة بدأت في التبلور بعد اجتياح العراق للكويت سنة 1990، خاصة بعد اتفاق دول الاتحاد الأوروبي على خلق عملة جديدة للتداول سنة 1999 وتم تسميتها باليورو، وهو ما جعل الرئيس العراقي السابق صدام حسين الى اتخاذ قراره التاريخي سنة 2000، باستعمال عملة اليورو كعملة وحيدة لشراء النفط العراقي، وبالتالي ظهرت الى السطح حرب جديدة بين كل من آلية البترودولار من جهة، وألية البتروبيورو من جهة أخرى، وهذا ما اعتبرته الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة تحدي صارخ لسياسات الهيمنة

التي تنتهجها، وبدأت بذلك تبلور فكرة مفاده ضرورة غزو العراق في اقرب وقت، ليكون كعبرة لكل الدول التي تحاول ان تقاوم السلوك الأمريكي¹².

كل هذه المتغيرات انعكست على الاستراتيجية الامريكية وأدت الى تبلور وبروز استراتيجية جديدة، بعد احداث 11 سبتمبر 2001، ويمكن تلخيصها في العناصر الثلاث التالية:

-أصبحت أكثر أحادية: ويمكن ان نلمس ذلك بوضوح من خلال خطاب الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، الذي القاه عشية الاحداث بقوله: " اننا نخوض حروب صليبية، ومن ليس معنا فهو ضدنا ".

-اصبحت أكثر عدائية: مباشرة بعد احداث 11 سبتمبر 2001 تم التوجه الى غزو أفغانستان سنة 2002، وبعد ذلك مباشرة غزو العراق سنة 2003.

-أصبحت أكثر أخلاقية: في تبريراتها لاستراتيجيتها الجديدة التي تصفها بأنها من اجل نشر الديمقراطية و إرساء مبادئ حقوق الانسان، و احترام قواعد القانون الدولي¹³.

3. أسباب الانسحاب الأمريكي في 2011:

في سنة 2011 كتبت هيلاري كلينتون مقال في *foreign policy* بعنوان *america's pacific century*، وطرحت تصورهما لمستقبل السياسة الخارجية الأمريكية بضرورة التحول نحو منطقة اسيا و الهادئ، بالنظر الى أن نصف سكان الكرة الرضية يعيشون في أسيا والمحيط الهادئ وهو ما انعكس على تنمية العلاقات الاقتصادية معها التي تصب في صلب المصلحة الامريكية، وهو نفس الطرح الذي يصب فيه تصريح سوزان رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي (2013- 2017) ، ان الولايات المتحدة الامريكية لا تبقى مشغولة على مدار الساعة بالمنطقة العربية 7/24 وعلى رأسها العراق وبالتالي ظهرت مدرسة فكرية تنادي بضرورة التحول في الاستراتيجية الامريكية نحو المزيد من الاهتمام بمنطقة اسيا و المحيط الهادئ على حساب المنطقة العربية والعراق تحديدا، والتي يبررون فيها قناعاتهم استنادا الى مجموعة من المؤشرات أهمها :

- حجم التواجد العسكري الأمريكي في أسيا و الهادئ 330 ألف عسكري ضمن قوات باكوم *baocom* مقابل 94 ألف في الشرق الأوسط ضمن قوات *centcom*.

- الاتفاقيات الأمريكية المبرمة مع أسيا و الهادئ 76 مقابل 23 فقط مع العراق والمنطقة العربية.

- التبادل التجاري 328 مليار مع اسيا والهادئ مقابل 84 مليار مع العراق والمنطقة العربية.
- كما أن ترامب أجرى أطول جولة أسيوية لرؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ 1991 (اليابان - كوريا الجنوبية - الصين - فيتنام - فلبن) في مقابل زيارات محدودة لمنطقة الشرق الأوسط (السعودية والقدس) ، ولم يزر فيها العراق في تلك الجولة .
- أيضا يمكن النظر الى المسألة من خلال متغير الطاقة ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق الاستقلال النسبي للطاقة Energy Independent:
- بسبب اكتشافات النفط الصخري حققت الولايات المتحدة الأمريكية نسب عالية من الاكتفاء الذاتي انتقل من 35% سنة 2007 الى 52% سنة 2016.
- واذا استمرت الاكتشافات بهذا المنوال فانه في المدى القصير قد تصل الى 90% من الاكتفاء الذاتي وبالتالي الاستغناء الكامل عن النفط العراقي والعربي.
- موقف الرأي العام الأمريكي من غزو العراق: هناك ضغط حقيقي داخلي باتجاه الانسحاب أو التراجع عن التواجد الأمريكي في العراق، بحيث أن 63% مع التراجع والانسحاب¹⁴

4 تحديات الاصلاح و إعادة البناء:

يعاني العراق العديد من المشاكل التي تعيق بناء نموذج الدولة الحديثة ، سواء كانت داخلية منها الصراع الطائفي و المحاصصات الاثنية و القومية ، التي أدت الى تكريس مبدأ اللامساواة في توزيع الثروة ، أو التدخلات الخارجية و جعل العراق ساحة دولية للاعبين دوليين و اقليميين .

1.4 صراع الطوائف من أجل الهيمنة والنفوذ:

يتواجد بالعراق العديد من الأقليات العرقية والدينية منذ آلاف السنين، كالكلدانيين السريانيين الآشوريين والأرمن، والصابئة المندائيين والأزيديين والشبك والكرد والفيليين والكاكائيين واليهود، وغيرهم من المكونات القومية والدينية الصغيرة والتي كانت تشكل أغلبية في السابق قبل أن تتحول ولأسباب سياسية مختلفة بعد حدوث تغييرات ديموغرافية وجيوسياسية إلى شعوب وقوميات صغيرة مهددة بالإنقراض والتلاشي.¹⁵

تعاني هذه الأقليات في العراق على المستوى التنموي من التهميش والتغيب، هذا الوضع الذي يتفاقم في ظل هيمنة الشيعة والسنة على المشهد السياسي بإعتبارهما أكبر الطوائف الدينية المسيطرة على صناعة القرار في البلاد، فالتنافس بينهما شكل محور الصراع السياسي في الدولة منذ سقوط النظام السابق،

وهو ما أدى إلى إعاقة عمليات إعادة بناء الدولة، وتعميق حالة عدم الإستقرار في البلاد... فتاريخياً، كانت الخلافات حول القضايا السياسية واللاهوتية والعقائدية هي السبب في الانقسام بين السنة والشيعة، غير أن التنافس على السلطة والموارد والمكانة هو الدافع وراء مظاهرها وتحليلاتها الحديثة اليوم، وهو ما جعل من فكرة التمثيل الطائفي على العلاقات السياسية بديلاً عملياً لفكرة تمثيل المواطنين، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الانقسامات القائمة بدل التخفيف من حدتها.

إن مسألة التنافس على السلطة والموارد والمكانة تقتضي بالضرورة، أن المنتصر في المعركة سيفرض على الجميع منطقاً وسياساته، وهو ما جعل من الطائفة الشيعية التي تسيطر على مفاصل الحكم من سقوط النظام السابق تعمل على توجيه سياساتها التنموية نحو مناطقها الجيوسياسية وأقاليمها، في مقابل التهميش الممنهج لبقية الأقليات المكونة للنسيج المجتمعي للعراق.

وفي ظل هذا الوضع، يبقى العراق يعيش في حلقة مفرغة من الصراعات التي تعصف بمشروع بناء الدولة وتحقيق الإستقرار السياسي والاجتماعي، بل إن هذا الوضع يسير بالعراق إلى التفكك والانقسام إلى دويلات عديدة على أسس عرقية ودينية مختلفة.

وقد أكدت كيت غيلمور نائبة المفوض السامي لحقوق الإنسان في مؤتمر صحفي عقده بجونيف عقب زيارتها للعراق على أهمية أن يتم إتخاذ خطوات ملموسة للتخطيط المرتكز على المساواة، وسيادة القانون، ورؤية إستراتيجية تكسب ثقة جميع الطوائف المختلفة في البلاد، ففي مجمل حديثها عن الأوضاع الإجتماعية والمساواة المجتمعية قالت: " لدى القادة العراقيين، على ما يبدو، ذاكرة طويلة الأمد ولكن لديهم رؤية ضيقة الأفق. إن الخطاب الشائع بين كثير من زعماء العراق يتمحور حول (المظالم المجتمعية)، دون الاعتراف بطبيعة معاناة العراقيين، والفشل في تخطيط مسار للمستقبل الجامع " وأكدت أيضاً على ضرورة تقييد قادة العراق، على كل المستويات، بالفعل والقول إلتزاماً أكبر بكثير بالسلام والمساواة وسيادة القانون بدلاً من سرد المظالم أو الانتقام المدفوع بالطائفية، فهناك غياب مقلق للخطاب السياسي الذي يجمع بين جميع الطوائف المختلفة في العراق، خطاب يشمل جميع الأقليات¹⁶.

يقول عالم الاجتماع الفرنسي جوروفيتش: " في مجتمع معقد قليل التوحد، ومنقسم بفعل كثرة من السلاسل الترابية وكثرة التجمعات والأنظمة، يصبح الوجود الاجتماعي للوحدات الجماعية وأعضائها، نحن

والآخرون مستحيلا دون المعرفة السياسية، ويصبح معرضا للتحويل إلى حرب الجميع ضد الجميع"، وهو ما يشكل خطرا كبيرا على كيان الدولة ووجودها، وتهديد مقومات إستقرارها السياسي والإجتماعي¹⁷.

2.4. الربيع كعقبة كؤود في تجسيد نموذج الدولة الحديثة في العراق:

في ادبيات علم السياسة و تحديدا المدرسة الليبرالية ، هناك افتراض مفاده ان النماذج الغربية التي وصلت الى مستويات متقدمة من التطور وجودة الديمقراطية كنموذج حكم، من خلال التطور الطبيعي لمراحل التطور للوصول الى نموذج الدولة الحديثة، عبر المرور بمرحلة المجتمع الزراعي، ثم الانتقال الى المجتمع الصناعي، للوصول الى المجتمع الاستهلاكي القائم الذي يحقق نموذج " دولة الرفاه"، لكن في الحالة العراقية سهل الربيع من قدرة النظام الحاكم على شراء السلم الاجتماعي، والانتقال مباشرة من الدولة المهشة التي افرزتها نتائج الانسحاب الأمريكي، الى نموذج " دولة الرفاه"، وهو ما أفرز درجة من الزبائنية وصلت الى درجة من التقاسم الطائفي، كرستها دولة لا يوجد ما تقدمه للمواطنين سوى الوظيفة الحكومية، انتقلت مستوياتها من سنة 2003 أي من الغزو الأمريكي الى 2019 عشرة أضعاف، وهو ما يسميه علماء الاقتصاد بالوظائف الوهمية، التي أدت الى ارتفاع مستويات البطالة و التضخم وارتفاع للأسعار، وهو ما أدى الى حصول اشباع في الدولة واقصاء القطاع الخاص، لان المشاريع تسير بالفساد والرشاوى ولا يمكن ان يحصل عليها أي شخص، وينظر لها على أنها غنيمة .

ان العراق يشكل خامس منتج للنفط في العالم، ومعدل دخل الفرد نظريا اكثر من 17000 دولار سنويا، ولكن لا يصل للمواطن العراقي هذا الدخل على ارض الواقع، إضافة الى ان ديونها تشكل حوالي 46% من الناتج السنوي، اذا هناك إحصائية جد مهمة تشير ان العراق باع من سنة 2003 الى 2018 ما قيمته من البترول حوالي ترليون دولار، تشكل منها 650 مليار دولار غير مسجلة أو لا يعرف اين صرفت unaccountable ، وهذا ما يدل على ان الفساد اصبح مشكلة حقيقية في العراق .

حيث يرى ميشال روس Michael Ross ان الربيع قد شكل إحدى أهم سندات هذه الدولة في الحفاظ على وضعها هذا، وذلك من خلال اعتمادها على سياستين، إما استئجار المواطنين وشراء الولاء، أو القمع في حالة ما اذا فشلت السياسة الأولى، وقد استطاع هذا المنطق الاقتصادي الربيعي أن ينتشر كثقافة، اذ أصبح اعتماد العراق على القطاعات الربيعية أهم ما يميز نمط بنيتها الاقتصادية، وهو ما يجعل الربيع المصدر الرئيسي لتكوين الثروات فيها.¹⁸

إذ يشكل الربيع أضخم مصدر للعائدات، ومن ثم فقد كان من الطبيعي ان يكون له دور محوري في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ذلك أن حقوق الربيع تمتلكها الدولة، كما ان عائداته تذهب مباشرة الى خزينتها، وهو ما ادى الى تركيز مبالغ هائلة من الثروة الاقتصادية والقوة السياسية في ايدي النخب الحاكمة، وقد قادت هذه الموارد المالية الضخمة الى ميلاد مفهوم "الدولة الربعية" Rentier state.¹⁹

5. خاتمة:

بعد كل ما تقدم يمكن تلخيص اهم نتائج الدراسة في النتائج التالية:

- الإسراع في تجاوز مرحلة التواجد الأمريكي والانعكاسات التي افرتها تلك المرحلة، وفتح نقاش جدي بين مختلف الاطياف المكونة للشعب العراقي.
- الانطلاق في قضية الاصلاح وإعادة البناء من خلال التركيز واعطاء الاولوية للمسألة الاقتصادية، باعتبارها المسألة ذات الأولوية لمحاربة الفساد، وترك او تأجيل المسألة السياسية المتعلقة اساسا بقضايا التمكين السياسي للأفراد الى ان تصبح مطلب مجتمعي طبيعي ملح خصوصا بعد الاحتجاجات الأخيرة التي شهدتها نهاية 2019.
- رفض أي نوع من التدخل الخارجي سواء كان الدولي متمثلا في عودة الهيمنة الامريكية، أو إقليميا من خلال الدور الإيراني المتزايد نتيجة الفراغ الذي خلفه الانسحاب الأمريكي، ورفض ان يكون العراق ساحة لتضارب المصالح بين اللاعبين الدوليين.
- ضرورة تغيير الخطاب السياسي والأكاديمي والانتقال من الخطاب المكرس للطائفية والمحاصصة، الى خطاب جامع للشعب العراقي ويعرفه انطلاقا من مبدأ المواطنة، والمساواة في الحقوق والواجبات.
- ضرورة وجود إرادة سياسية حقيقية للتغيير، وإعادة العراق الى سابق عهده كدولة محورية ومفتاحية، من خلال خلق مؤسسات قوية قادرة على الوفاء بالتزامات والوعود التي يقدمها النظام السياسي.

6. الهوامش:

¹ هوداف، عبد الله، (2012)، مبد أدم الديمقراطية في السياسة الخارجية الامريكية، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر3، الجزائر، ص77.

² Jonathan, Monten,(2004), Nationalism and Neoconservative Perspectives on the Promotion of Democracy Abroad Prepared for delivery at the 2004 Annual Meeting of the American Political Science Association, September, p 2-5

³ Marc ,YARED, (Mars2003), Les 10 Commandements des USA. Arabies N°=193, p33.

⁴الرتناوي غريب،(2003)، واشنطن ضائعة في البحث عن نظام عراقي اخر ، مجلة سياسات شرق أوسطية ، عدد 25 ، ص 23.

⁵حسام سويلم، إستراتيجية إسرائيل لتحقيق غاياتها وأهدافها القومية والمستقبلية: تطوير ركائز نظرية الأمن الإسرائيلي، دبي، في [http: www.elbayan.ae](http://www.elbayan.ae)، تاريخ الزيارة 2021/03/13، على الساعة 09:47.

⁶مناحيم بيغن (1992-1913) سير حياة، في [http: www.keneset.org](http://www.keneset.org)، تاريخ الزيارة: 2019/09/14، على الساعة 18:28.

⁷ممدوح أنيس فتحي، (1996)،"العقيدة العسكرية الإسرائيلية بين الاستمرار والتغير"، مجلة السياسة الدولية، العدد 125، ص 229.

⁸ممدوح أنيس، (1996)،أبعاد نظرية الأمن الإسرائيلي بعد التسوية الشاملة، مجلة السياسة الدولية، العدد 124، ص231.

⁹أثار حرب الخليج الثانية على الأمن الاقليمي والعلاقات العربية-العربية، [http: alsharqalawsat.com](http://alsharqalawsat.com) ، تاريخ الزيارة: 2021/02/14، على الساعة 11:36.

¹⁰جعفر ضياء جعفر ونعمان سعد الدين النعيمي، (2005)،الاعتراف الأخير: حقيقة البرنامج النووي العراقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص127.

¹¹ Marc roche ,(2005),Katrina a provoqué le retourne des spéculateurs, N°347, page2.

¹²عمر الحسان ، (2014)،الديموقراطية الجديدة ، أمواج للنشر و التوزيع ، عمان : الأردن ، ص 42

¹³ Daalder, Ivo and Lindsay, James,(2003), America unbound : the Bush revolution in foreign policy . Washington, Brookings Institution Press,p 182.

¹⁴ عادل منصف، (2018)، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الامريكية بعد احداث 11 سبتمبر 2001 ، الجزائر ، دار هومة، ص 174.

¹⁵ أنطوان الصنا، حقوق الأقليات في العراق، الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية، متحصل عليه من: <http://www.ihrsusa.net/details-185.html>، يوم 2021/03/29، على الساعة 19:36.

¹⁶ هشام دراجي، امينة مزراق، (2002)، ثنائية الدولة والمجتمع في المجال السياسي العربي، مناقشات نظرية، مجلة المستقبل العربي، العدد 502، ص 120.

¹⁷ نسرين عبد الحميد نبيه ، (2008)، مبدأ المواطنة بين الجدل والتطبيق، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، ص 136.

¹⁸ Michael Ross,(2008), does oil hinder democracy?, World politics, vol 53, p23

¹⁹ ثناء فؤاد عبد الله، (2001)، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ص130.